الإعجاز الصّوتي لمفردات القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير

The sonic miracleness of the holly Quran's words by Imam Tahir Ben Achour

محمد أمين مهناوي[1]، سميرة مولاي[2]

[1]جامعة وهران1 أحمد بن بلة(الجزائر)، mehennaouimohamedamine@gmail.com

[2]جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر)، mosa_0272@yahoo.fr

الاستلام: 18-10 -2022 القبول: 23-10-2022

ملخص:

إنّ للإعجاز الصّوتيّ في القرآن الكريم أهميّة كبيرة لكونه أحد جوانب الإعجاز اللّغوي ، فهو دليل على صدق الرّسالة وعلى أنّه كلام من عند الله عزّ وجلّ ، فالقرآن يختار أحسن الأصوات التي تُجسّد المعاني في أحسن صورة من خلال الكلمات التي نرى منها الحدث رأي العين، وقد اهتم بموضوع الإعجاز علماؤنا منذ القدم ومن بين هؤلاء الإمام الطّاهر بن عاشور الذي اعتمدنا في دراستنا هذه على تفسيره لبيان أوجه الإعجاز الصّوتي خاصّة وأنّه قد أودع هذا المُؤلَّفَ العظيم فوائد جمّة، اهتمّ بجانب البلاغة والإعجاز الصوتي اهتماما كبيرا، لأنّ هذه الأصوات التي جاءت معجزة في كلام الله تعالى قد تجسّدت في كلمات قد دلّت على معنى الفعل وهيئته من خلال صفات حروفها، أو وزن فعلها، أو من خلال أصوات الحروف الزائدة عن أصل الكلمة.

كلمات مفتاحية: الإعجاز، الصوت، المفردات، القرآن، الطّاهر بن عاشور.

Abstract:

The sonic miracle in the Quran plays an important role as it is considered as one of the key elements of the linguistic miracles in Quran, and that is a proof of the truthfulness of the messages and the genuine words of ALLAH. Therefore, Quran choses the best voices that best reflect the true meaning through the words that allow us to picture out the event dealt with the best possible way.

The miracleness of the Quran has long since been of great concern by our scientists among whom we can cite the imam Tahir ben Achour whose

interpretation of the sonic miracleness of Quran was our research subject material.
He gave much importance to the sonic miraculeness and rhetoric. Those sounds that are a miracle in God's words have been embodied in verb's meaning, throughout its vowel features, verb weight and intensity, or by the sounds of vowels that are not part of the stem.
Keywords: miracleness; sonic; the words; Quran; Taher Ben Achour.

المؤلف المراسل: محمد أمين مهناوي، **الإيميل:** mehennaouimohamedamine@mail.com

1.مقدمة:

الحمد لله ذي القوّة الشديد رافع السماوات بغير عمد فعّال لما يريد المنزل القرآن المجيد "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أما بعد فقد كان العرب في شبه الجزيرة العربيّةيعظّمون أهل الفصاحة والشّعر والبيان، فهم "أشعر السّاميّين فطرة، وأبلغهم على الشّعر قدرة، لاتّساع لغتهم للقول، وملاءمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوّة عصبيّتهم، وكمال حريّتهم، وخلوّ جزيرتهم ممّا يصدّ الفكر عن التأمّل، ويعوق الذّهن عن التفكّر"(الزيّات، 2008، الصفحات 30-31). فقد كان الشّعر تاريخهم وحضارتهم وفيه مجدهم ومفاخرهم فهو "ديوان علومهم وحكمهم، وسجلّ وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم وخطئهم، ومادّة حوارهم وسمرهم" (الزيّات، 2008، صفحة 31). فكان له الأثر البالغ في نفوسهم، ولمّا جاءهم كتاب من عند الله بلسانهم مسفّها أحلامهم، منكرا عليهم دين آبائهم كذّبوه فتحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله وإن كانوا مجتمعين، فكانوا عن التحدّي عاجزين، لسماعه مريدين، لجماله متذوّقين، لوعيده خائفين، لسجداته مجيبين، فلمّا رأوا تأثيره على القلوب﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت:26). والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

فلمّا انتشر الدّين واختلط العرب بغيرهم من الأعاجم صار القرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار في مشارق الأرض ومغاربها وخلَفَ من بعدهم خلْفٌ بحثوا أسرار إعجازه فبدأوا يفكّرون في طريقة عقليّة لتذوّق كلام الله عزّ وجلّ دون السّليقة،"بدأت الثقافات الفارسية واليونانية تأخذ طريقها إلى المجتمع الإسلامي على يد أبناء الأقطار التي فتحها المسلمون، وبدأ النّاس يفكّرون بطريقة عقليّة مجرّدة عن التّذوّق الجمالي وإدراك المعاني بالسّليقة الصّافية"(مصطفى، 1416ه-1996م، الصفحات 45-46)،

فأدركوا جماله في بلاغته وبلاغته في أصواته،فأصوات القرآن الكريم معجزة في حروفها وألفاظها وتراكيبها حتّى في سياقها مع سابقها ولاحقها متناسبة فيما بينها ومع غيرها. "وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن.... لترتيب حروفه باعتبار أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير وغير ذلك ممّا أوضحنا في صفات الحروف"(الرافعي، 1424ه-2003م، صفحة 177)

ننطلق في هذه الورقة البحثية من سؤال محوري يتعلّق بمظاهر الإعجاز الصّوتيّ في الكلمة القرآنيّة، حيث إنّ العلماء منذ القديم تناولوا هذا العلم في كتبهم فأفردوا له مصنّفات خاصّة أو ضمّنوها داخل كتب أخرى ومن بينهم الإمام الطاهر بن عاشور الذي اعتمدنا تفسيره التحرير والتنوير في دراستنا، الذي أعطى لعلم الإعجاز الأهميّة البالغة، ومع ذلك فإنّ هذا العلم لايزال يعرف تطوّرا في كلّ عصر، ونلحظ أنّ المفردة القرآنيّة يختلف معناها باختلاف صوتها،أو باختلاف الحروف الزائدة عن أصلها اللّاحقة بها.

فما أسرار الإعجاز في تفسير الطاهر بن عاشور المتعلقة بوزن الكلمة القرآنيّة؟ وماهي أسراره المتعلّقة بالحروف الزائدة عن أصل الكلمة؟

وسنحاول معرفة ما ذكره الإمام الطاهر بن عاشور حول الإعجاز الصوتي للمفردة القرآنية في مختلف أحوالها ومنهجه في الكشف عن هذه الأسرار.

وقد اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي والمنهج التّحليلي، وذلك بجمع الآيات التي يذكرها العلماء في مواطن الإعجاز الصّوتي فنبيّن إعجازها على رأي الإمام الطّاهر بن عاشور ثم نقوم بتحليلها انطلاقا من آراء العلماء بعد النظر في المعنى العامّ للآية مع مراعاة سياقها وسبب نزولها.

2.الإعجاز الصّوتي عند ابن عاشور

1.2 قراءة في مفهوم الإعجاز الصّوتي:

1.1.2 تعريف الإعجاز:

- **لغة:** قال ابن فارس في تعريفه لمادة عجز: "العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على الضّعف. والآخر على مؤخّر الشيء"(فارس، مقاييس اللغة، 1429ه-2008م، صفحة 640).

وورد في تهذيب اللّغة أنّ من معاني الإعجاز:"الفوت، والسّبق، يقال: أعجزني فلان، أي فاتني، وقال الليث: أعجزني فلان: إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"(الأزهر، 1425ه-2004م، صفحة 313).

من خلال ما سبق نستخلص أنّ الإعجاز يدور حول الضّعف والتأخر وعدم الإدراك للمطلوب والقصور عنه فإذا أعجزك أمر معيّن فستكون ضعيفا عاجزا عن طلبه وإدراكه.

❖ **اصطلاحا:** الإعجاز مصدر من الفعل أعجز يعجز إعجازا واسم الفاعل منها معجزة وقد عني العلماء بتعريفها لأنّها دليل على صدق المرسلين وممّا جاء في تعريفها ما ذكره السيوطي بقوله: "اعلم أنّ المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم عن المعارضة"(السيوطي، 1434ه-2013م، صفحة 645).

عرّف السّيوطي الإعجاز بذكر ثلاثة قيود حتّى تكون دليلا على مدّعي الرسالة أنّها من عند الله تعالى وهو ما أضافه القرطبي فذكر في شروط المعجزة أن تكون لما لا يقدر عليه إلا الله وأن يستشهد بها على صدق الرسول.

جاء في الجامع لأحكام القرآن في شرائط المعجزة وحقيقتها:

المعجزة واحد معجزات الأنبياء الدالّة على صدقهم، صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها.

وشرائطها خمسة، فإن اختلّ منها شرط، لا تكون معجزة:

1. أن تكون لما لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه.
2. أن تخرق العادة.
3. أن يستشهد بها مدّعي الرّسالة على الله عزّ وجلّ.
4. أن تقع على وفق دعوى المتحدّي بها.
5. ألّا يأتي أحد بمثلها على وجه المعارضة(القرطبي، 1433ه-2012م، الصفحات 112-114).

2.1.2 تعريف الصّوت:

❖ **لغة:**

وعرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: "صوّت فلان بفلان تصويتا أي دعاه وصات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح" (الفراهيدي، 1424ه-2003م، صفحة 421)، فالصوت هو المناداة.

قال ابن منظور الصوت الجرس، معروف، مذكّر.... والجمع أصوات، وقد صات يصوت ويصات صوتا، وأصات، وصوّت به: كلّه نادى. ويقال: صوّت يصوّت تصويتا، فهو مصوّت، وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه. ويقال صات يصوت صوتا، فهو صائت، معناه صائح(منظور، 1430ه-2009م، صفحة 64 ج2)

وذكر ابن جنيّ: إنّ الصوتمصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت، وصوّت تصويتا فهو مصوّت وهو عام غير مختص يقال: سمعت صوت الرّجل وصوت الحمار.(جني ع.، 1428ه-2007م، صفحة 23)

نلحظ من التعاريف السابقة أنّ الصّوت في اللّغة استعمل للدّلالة على الدعاء والمناداة خلاصة ما جاء في التّعاريف اللغوية السّابقة أنّ الصوت في اللّغة هو الدعاء والمناداة وجمعه أصوات والماضي منه صات ويدخل في مسمّاهصوت الإنسان وغيره، داخل في مسمّى الصّوت.

❖ **تعريف الصوت اصطلاحا:**

أوّل ما وجدناه في تراثنا من تعريف الصوت اصطلاحا بوصف طريقة حدوثه ما ذكره ابن جني في كتاب الخصائص قائلا: "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متّصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين تثنيه عن امتداده واستطالته".(جني ع.، 1428ه-2007م، صفحة 19) فقد عرّف الصوت بماهيته وليس بذكر مثال عليه، ونجد إبراهيم أنيس عرّف الصوت الإنسانيّ أيضا فقال:"هو ككلّ الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة. فعند اندفاع النفس من الرّئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم والأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجيّ على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن"(أنيس، 2010، صفحة 7).

أمّا كمال بشر فعرّف الصّوت عموما ليدخل صوت غير الإنسان في تعريفه فقال: "الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزا أعضاء النطق. والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة. ويتطلب الصّوت اللغويّ وضع أعضاء النطق في أوضاع معيّنة محدّدة. أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معيّنة محدّدة أيضا"(بشر، 2000، صفحة 119).

نستخلص ممّا سبق أنّ أصوات غير الإنسان داخلة في مسمّى الصّوت إلاّ أنّ علماءنا ركّزوا على صوت الإنسان باعتباره مناط الدرس اللّغوي وأنّه عَرَضٌ كما ذكر ذلك ابن جنيّ أو ذبذبات تخرج عن طريق أعضاء النطق بالتعريف المعاصر.

3.1.2 تعريف الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم حال كونه مركّبا:

سنتطرّق إلى بعض تعاريف إعجاز القرآن الكريم لأنّه أعمّ من الإعجاز الصوتيّ فهو داخل في مسمّاه ثم نذكر تعريفا للإعجاز الصوتيّ.

قال الزّرقاني في إعجاز القرآن وما يتعلّق به: "إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به"(الزرقاني، 1415ه-1995م، صفحة 259 ج2).

أمّا الإعجاز الصوتي فهو مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي، أو التشكيل الصوتي سواء لكلماته أو جمله أو آياته، أو على المستوى الموسيقى أو الإيقاعي في السورة بأسرها ومدى موافقة ذلك واتساقه وتواؤمه مع المعاني والمقاصد التي تقصد إليها السورة على نحو من الموائمة والمطابقة العجيبة التي يستبعد وقوعها في مثل كلام البشر، بهذه الدرجة من المطابقة والموافقة والموائمة لمعاني الكلام.(هنداوي، 1434ه-2013م، صفحة 12)

2.2 منهج الإمام ابن عاشور في بيان إعجاز القرآن:

لقد اعتنى الإمام الطاهر بن عاشور بالبلاغة وأولاها اهتماما كبيرا ويظهر هذا واضحا جليّا من خلال تفسيره وما اعتمده من مصادر فلا يكاد يمرّ بآية إلّا وتعرّض لإعجازها البلاغي يقول الإمام ابنعاشور: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربيّة وأساليب الاستعمال.... ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلّا يكون الناظر في تفسير القران مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنّها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله"(بن عاشور، صفحة 8 ج1).

ويصرّح قائلا بأنّه حاول جاهدا بيان إعجاز القرآن بالكشف عن نكته البلاغية "فإنّي بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القران وإعجازه خلت عنها التّفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النّحارير، بحيث ساوى هذا التّفسير على اختصاره مطوّلات القماطير، ففيه أحسن ما في التّفاسير، وفيه أحسن ممّا في التّفاسير"(بن عاشور، الصفحات 8-9 ج1).

وقد خصّص الإمام ابن عاشور مقدّمة في تفسيره يتحدّث فيها عن إعجاز القرآن الكريم وأنّه حظي باهتمام كبير في تفسيره إلّا أنّه لم يستقص جميع ما جاء ذكر يبين منهجه في ذلك فقال: "فأمّا أنا فأردت في هذه المقدّمة أن ألمّ لك أيّها المتأمّل إلمامة ليست كخطرة طيف. ولا هي كإقامة المنتجع في المربع حتّى يظلّه الصّيف. وإنّما هي لمحة ترى منها كيف كان القرآن معجزا وتبتصر منها نواحي إعجازه وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسّور، فذلك له مصنّفاته وكلّ صغير وكبير مستطر. ثمّ ترى منها بلاغة القرآن ولطائف أدبه التي هي فتح لفنون رائعة من أدب لغة العرب حتّى ترى كيف كان هذا القرآن فتح بصائر، وفتح عقول، وفتح ممالك، وفتح أدب غضّ ارتقى به الأدب العربيّ مرتقى لم يبلغه أدب أمّة من قبل. وكنت أرى الباحثين ممّن تقدّمني يخلطون هذين الغرضين خلطا، وربّما أهملوا معظم الفنّ الثّاني، وربّما ألمّوا به إلماما وخلطوه بقسم الإعجاز وهو الذي يحقّ أن يكون البحث فيه من مقدّمات علم التّفسير، ولعلّك تجد في هذه المقدّمة أصولا ونكتا أغفلها من تقدّموا ممّن تكلّموا في إعجاز القرآن مثل الباقلاني، والرماني، وعبد القاهر، والخطابي، وعياض، والسكاكي، فكونوا منها بالمرصاد، وافلوا عنها كما يفلي عن النار الرماد"(بن عاشور، صفحة ج1 ص101).

وممّا يتميّز به منهجه ما يلي:

1.استدلاله باللّغة العربيّة: "وتعتبر اللّغة في تفسير التّحرير والتّنوير من أهمّ وأبرز الأسس التي قام عليها، واستوى على سوقه، بل هي العصب الذي يشدّ أركان هذا التّفسير، ويقوّيه، ويميّزه، ويتميّز به".

2.إظهار تميّز البلاغة القرآنيّة على ما عداها من بلاغة العرب.

3.إظهار الأمور التي تفرّد بها القرآن الكريم، ولا نظير لها في لغة العرب، ومن ذلك قوله: "والضّرب على الآذان كناية عن الإنامة لأنّ النّوم الثّقيل يستلزم عدم السّمع، لأنّ السمع السّليم لا يحجبه إلّا النّوم، بخلاف البصر الصّحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان.

وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز"(بن عاشور، صفحة 268 ج15)

4.إبراز المشترك اللّفظي في الإعجاز، يقول رحمه الله تعالى: والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللّفظ

المفرد المشترك، والتّركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقيّة أو مجازيّة محضة أو مختلفة(بن عاشور، صفحة 99 ج1).

3.نماذج تطبيقيّة من تفسير التّحرير والتّنوير

1.3الدّلالة على المعنى من خلال صفات حروف الكلمة:

❖ **النّموذج الأوّل**: كلمة يُدَعُّونَ من قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا"﴾ (الطور:13).

فالكلمة تدلّ على قوّة الدّفع مع ما في التّشديد من زيادة المعنى وتأكيده وإلى المفعول المطلق في نهاية الجملة ممّا يدلّ على إذلالهم وإهانتهم وتعنيفهم يقول الطّاهر بن عاشور: " والدَّعُّ: الدَّفْعُ العَنِيفُ، وذَلِكَ إهانَةٌ لَهم وغِلْظَةٌ عَلَيْهِمْ، أيْ يَوْمَ يُساقُونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ سَوْقًا بِدَفْعٍ، وفِيهِ تَمْثِيلُ حالِهِمْ بِأنَّهم خائِفُونَ مُتَقَهْقِرُونَ فَتَدْفَعُهُمُ المَلائِكَةُ المُوَكَّلُونَ بِإزْجائِهِمْ إلى النّارِ.

وتَأْكِيدُ يُدَعُّونَ بِدَعًّا لِتُوَصِّلَ إلى إفادَةِ تَعْظِيمِهِ بِتَنْكِيرِهِ"(بن عاشور، صفحة 43 ج27).

فخسرانهم هو الخسران المبين وإهانتهم هي الغاية في الإهانة. فهم يدفعون بقوّة إلى شرّ الأمكنة بأقبح الطرق لتكذيبهم به، فساء ذهابهم وما أمرّ منتهاه.

❖ **النموذج الثّاني**: كلمة ضِيزَى من قوله تعالى:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾.(النجم:22).

فانظر إلى غرابة هذه الكلمة وجرسها في الآذان وما تحمله غموض عند سماعها وما تتركه من أثر في النّفس فاللّفظة بغرابة تركيبة صوتها دلّت على أمر مريب غير طبيعيّ وهو القسمة الغير عادلة، بل دلّت على غرابة هذه القسمة وخروجها عن المألوف بل إلى شذوذ في التّفكير وجرأة ووقاحة في الكلام فهم بقسمتهمهذه ﴿يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾(النحل:62).فكيف ساغ لهم أن ينسبوا إلى خالقهم ما يقومون بوأده ومالا تطيقه أنفسهم فهم كانوا يعتقدون بكمال البنين ونفص البنات وينسبونه إلى من قام بإيجادهم.

قال الطّاهربن عاشور: "وجُمْلَةُ:"﴿تِلْكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزى﴾ تَعْلِيلٌ لِلْإنْكارِ والتَّهَكُّمِ المُفادُ مِنَ الِاسْتِفْهامِ في ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنْثى﴾، أيْ: قَدْ جُرْتُمْ في القِسْمَةِ وما عَدَلْتُمْ فَأنْتُمْ أحِقّاءُ بِالإنْكارِ.

والإشارَةُ بِـ تِلْكَ إلى المَذْكُورِ بِاعْتِبارِ الإخْبارِ عَنْهُ بِلَفْظِ قِسْمَةٌ فَإنَّهُ مُؤَنَّثُ اللَّفْظِ.

وإذَا حَرْفُ جَوابٍ أُرِيدَ بِهِ جَوابُ الِاسْتِفْهامِ الإنْكارِيِّ، أيْ: يَتَرَتَّبُ عَلى ما زَعَمْتُمْ أنَّ ذَلِكَ قِسْمَةٌ ضِيزى، أيْ: قَسَمْتُمْ قِسْمَةً جائِرَةً"(بن عاشور، صفحة 106 ج27).

❖ **النموذج الثّالث**: كلمة الصّاخّة والطّامّة والقارعة في ذكر يوم القيامة:

وفي يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولابنون سمّاه الله عزّ وجلّ في كتابه بالصّاخّة والطّامّة والقارعة، فهذه الكلمات القويّة في جرسها تستشعر فيها التهويل والتخويف قال الطّاهر بن عاشور: "الِافْتِتاحُ بِلَفْظِ القارِعَةِ افْتِتاحٌ مَهُوِّلٌ.....والقارِعَةُ: وصْفٌ مِنَ القَرْعِ وهو ضَرْبُ الجِسْمِ بِآخَرَ بِشِدَّةٍ لَها صَوْتٌ"(بن عاشور، الصفحات 509-510 ج30)، فكان وقع هذه الأسماء على الأسماع وأثرها على القلوب كالصّاعقة أو كسقوط حمل ثقيل من ارتفاع غير معلوم على قلب لا يطيق قال الطّاهر بن عاشور: "والصّاخَّةُ: صَيْحَةٌ شَدِيدَةٌ مِن صَيْحاتِ الإنْسانِ تَصُخُّ الأسْماعَ، أيْ: تُصِمُّها"(بن عاشور، صفحة 134 ج30)،إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(ق:37).

فمن كان له قلب أو ألقى سمعه لا يستطيع تجاهل جرس هذه الكلمات التي تنفذ من الآذان إلى الأفئدة فتأخذك في خيال تشاهد من خلاله أهوال يوم رهيب فسبحان من جعل الإعجاز في القرآن ومفرداته. قال تعالى:﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر:21).

❖ **النّموذج الرّابع**: كلمة أنّ من قوله تعالى:﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾(هود:80).

يقول سيّدنا لوط عليه السّلام في يوم عصيب خائفا على ضيوفه من وقوع الفاحشة عليهم من قوم فاسقين فتمنّى أن يكون له سبب محسوس يستعين به على دفع المكروه عن ضيوفه،قال الطّاهر بن عاشور:"وجَوابُهُ بِـ﴿لَوْ أنَّ لِي بِكم قُوَّةً﴾ جَوابُ يائِسٍ مِنِ ارْعِوائِهِمْ.و(لَوْ) مُسْتَعْمَلَةٌ في التَّمَنِّي، وهَذا أقْصى ما أمْكَنَهُ في تَغْيِيرِ هَذا المُنْكَرِ...والمَعْنى: لَيْتَ لِي قُوَّةً أدْفَعُكم بِها، ويُرِيدُ بِذَلِكَ قُوَّةَ أنْصارٍ لِأنَّهُ كانَ غَرِيبًا بَيْنَهم"(بن عاشور، صفحة 130 ج12)، فتأتي كلمة أنّ مؤكّدة تدلّ على شدة حاجة لوط عليه السّلام إلى هذا السبب وما يناسبها من التركيب النّحوي في تقديم ماحقّه التأخير لإفادة الخصوص أي لو كانت لي قوّة أستعين بها عليكم وحدكم دون غيركم فأنى التّركيب والنّحويّ والمعنى البلاغيّ والسّياق العامّ منسجما معبّرا عنه بلفظة أنّ لما فيها من غنّة مع تشديدها لإطالة المعاناة مع الأنين والشدّة في الصّراع وقوّة الرّجاء.

❖ **النموذج الخامس**: كلمة مجراها من قوله تعالى: ﴿مَجْراها ومُرْساها﴾.(هود:41).

سبحان من أنزل هذه الآيات البيّنات وأودع فيها أسرار حكمته فبينما أنت تقرأ قوله تعالى "بسم الله مجراها" تلحظ عدولا صوتيّا ينقل ذهنك إلى خضّم الحدث فالإمالة تناسب السّياق والحدث ومجريات القصّة مناسبة تامّة فكأنّ السّفينة تميل في بحر من الطّوفان لاجتناب الأمواج وتفادي الغرققال الطّاهر بن عاشور: "و﴿مَجْراها ومُرْساها﴾ - بِضَمِّ المِيمَيْنِ فِيهِما - في قِراءَةِ الجُمْهُورِ. وهُما مَصْدَرا أجْرى السَّفِينَةَ إذا جَعَلَها جارِيَةً، أيْ سَيَّرَها بِسُرْعَةٍ، وأرْساها إذا جَعَلَها راسِيَةً أيْ واقِفَةً عَلى الشّاطِئِ. يُقالُ: رَسا إذا ثَبَتَ في المَكانِ"(بن عاشور، صفحة 73 ج12) ولأنّ الجريان كان على غير العادة لكونه على اليابسة فجاءت الإمالة على غير العادة أمّا كلمة مرساها لم تأتي بالإمالة مع أنّها في نفس الجملة لكون توقّف السفينة كان على العادة وهو المرسى في اليابسة، يقول الطاهر بن عاشور:"والعُدُولُ عَنِ الفَتْحِ في مَرْساها في كَلامِ العَرَبِ مَعَ أنَّهُ في القِياسِ مُماثِلُ مَجْراها وجْهُهُ دَفْعُ اللَّبْسِ لِئَلّا يَلْتَبِسَ بِاسْمِ المَرْسى الَّذِي هو المَكانُ المُعَدُّ لِرُسُوِّ السُّفُنِ"(بن عاشور، صفحة 74 ج12)

❖ **النّموذج السّادس**: كلمة عليهُ من قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(الفتح:10).

جاء ضمير الغائب بالضمّ على غير العادة للدّلالة على رفع أمر عظيم قال الطّاهر بن عاشور:"فَإنَّهُ لَمّا كَشَفَ كُنْهَ هَذِهِ البَيْعَةِ بِأنَّها مُبايَعَةٌ لِلَّهِ ضَرُورَةَ أنَّها مُبايَعَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاعْتِبارِ رِسالَتِهِ عَنِ اللَّهِ صارَ أمْرُ هَذِهِ البَيْعَةِ عَظِيمًا خَطِيرًا في الوَفاءِ بِما وقَعَ عَلَيْهِ التَّبايُعُ"(بن عاشور، صفحة 59 ج26). ولو رجعنا لسياق الآية ومعناها العامّ لوجدنا أنّها أنزلت بشأن مبايعة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فكان العدول من الكسر إلى الضمّ رفعا لشأن المبايعة وتعظيمها وكذلك اللّم من اسم الله تأتي مغلّظة لوجود الضمّ قبلها.

النّموذج السّابع: كلمة يحببكم من قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(آل عمران:31).

ومن العدول أيضا العدول هنا من الإدغام إلى الفكّ تحبّبا من الله عزّ وجلّ إلى خلقه،قال الطّاهر بن عاشور: "انْتِقالٌ إلى التَّرْغِيبِ بَعْدَ التَّرْهِيبِ عَلى عادَةِ القُرْآنِ.... والرَّأْفَةُ تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ المَرْءُوفِ بِهِ الرَّءُوفَ، فَجَعْلُ مَحَبَّةِ اللَّهِ فِعْلًا لِلشَّرْطِ في مَقامِ

تَعْلِيقِ الأمْرِ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ - مَبْنِيٌّ عَلى كَوْنِ الرَّأْفَةِ تَسْتَلْزِمُ المَحَبَّةَ"(بن عاشور، الصفحات 224-225 ج3) ومناسبة الفكّ هنا أنّ المقام مقام رحمة فالآية قبلها كانت تتكلّم عن التّرهيب وختمت برؤوف رحيم انتقالا إلى مقام الرّحمة والمودّة.

2.3 الدّلالة على المعنى من خلال وزن الكلمة:

النموذج الأوّل:كلمة زحزح من قوله تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:185).

في هذه الآيات الكريمات يتجلّى الإعجاز الصّوتي تجليّا واضحا فقد دلّت هذه الألفاظ من القرآن الكريم على محاكاة الفعل بطريقة عجيبة ممّا يجسّد لك الفعل كأنّك تراه مرأى العين كما في لفظة يزحزح من خلال جرسها الصّوتي ومن خلال تكرارها لصوت الفعل "زح/زح" فالزحزحة في معناها تكرار عمليّة الجذب بسرعة يقول الطّاهر بن عاشور: "ومَعْنى زُحْزِحَ أُبْعِدَ. وحَقِيقَةُ فِعْلِ زُحْزِحَ أنَّها جَذْبٌ بِسُرْعَةٍ، وهو مُضاعَفُ زَحَّهُ عَنِ المَكانِ إذا جَذَبَهُ بِعَجَلَةٍ(بن عاشور، صفحة 188 ج4)، فهذا التّهويل العظيم والتّخويف الرّهيب والتّصوير العجيب يجعلنا دائما متفكّرين خائفين من عذاب يوم عظيم مستمرّين في فعل ما يوجب دخول الجنّة وما يبعد عن النّار ومناسبة الفعل وما فيه من معنى التكرّر ممّا يصوّر لك أهوال يوم القيامة، فيجعلك خاشعا متصدّعا من خشية الله وجاء هذا الفعل بلفظ الغائب للعلم بالفاعل وتعظيمه لا إله إلّا هو الواحد القهّار واللّجوء إليه وحده دون غيره ثمّ يخبرنا الله عزّ وجلّ أنّ من دخل الجنّة وابتعد عن النّار فقد فاز حاذفا المفعول به للدّلالة على حصول الغاية من المراد يقول الطّاهر بن عاشور:"ومَعْنى ﴿فَقَدْ فازَ﴾ نالَ مُبْتَغاهُ مِنَ الخَيْرِ"(بن عاشور، صفحة 189 ج4)، كيف لا وقد نال الخيرين العظيمين يقول الطّاهر بن عاشور: "وإنَّما جُمِعَ بَيْنَ﴿ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ ﴾، مَعَ أنَّ في الثّانِي غُنْيَةً عَنِ الأوَّلِ، لِلدَّلالَةِ عَلى أنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ يَشْتَمِلُ عَلى نِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: النَّجاةُ مِنَ النّارِ، ونَعِيمُ الجَنَّةِ"(بن عاشور، صفحة 189 ج4)، فوجب اللّجوء إليه وحده دون غيره وتعليق القلب به دون ما سواه فلا يدخل الجنّة أحد بعمله وإنّما برحمة من الله، ومن رحمته تعالى أن ذكر سبب الغفلة عن هذا الفوز العظيم وحياة النّعيم فقال تعالى: "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" (آل عمران:185)،فالاغترار بالدّنيا سبب الغفلة عن دار الخلد ومن عجيب هذه الآية وما يناسبها من الفعل يزحزح الاستمرار في الاغترار بالدّنيا والاستمرار في مجاهدة النّفس حتّى نكون ممّن قال فيهم الله "وَأُدْخِلَ " فالدّخول يكون مرّة واحدة لا

يحتاج إلى تكرار وهذا من الإعجاز والمناسبة بين الفعلين ومعناهما وصوت اللّفظين الدّالين على ذلك المعنى.

وممّا جاء أيضا في الفعل المكرّر المقطع الدالّ بصوته على هيئة الفعل كلمة صَرْصَرٍ من قوله تعالى: "بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"(الحاقة:06).

قال الطّاهر بن عاشور: "الصرصر: الشديدة، يكون لها صوت كالصرير"(بن عاشور، صفحة 116 ج29)، فدلّت الكلمة بصوتها على صوت الرّيح الشديدة المستمرّة في إصدار صوتها وهو ما دلّ عليه تكرار المقطع.

النموذج الثّاني:كلمة توسوس من قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(ق:16).

وفي هذه الآية وردت كلمة توسوس مكرّرة المقطع "وس/وس" للدّلالة على تكرار الفعل مرّة أخرى لكن بصفة الهمس والخفاء الذي يدلّ عليه فعل الوسوسة الذي لا يرى ولا يكاد يسمع، يقول الطّاهر بن عاشور: "ومَعْنى تُوَسْوِسُ تَتَكَلَّمُ كَلامًا خَفِيًّا هَمْسًا. ومَصْدَرُهُ الوَسْواسُ والوَسْوَسَةُ أُطْلِقَتْ هُنا مَجازًا عَلى ما يَجُولُ في النَّفْسِ مِنَ الخَواطِرِ والتَّقْدِيراتِ والعَزائِمِ لِأنَّ الوَسْوَسَةَ أقْرَبُ شَيْءٍ تُشَبَّهُ بِهِ تِلْكَ الخَواطِرُ وأحْسَنُ ما يُسْتَعارُ لَها لِأنَّها تَجْمَعُ مُخْتَلِفَ أحْوالِ ما يَجُولُ في العَقْلِ مِنَ التَّقادِيرِ وما عَداها مِن نَحْوِ ألْفاظِ التَّوَهُّمِ والتَّفَكُّرِ إنَّما يَدُلُّ عَلى بَعْضِ أحْوالِ الخَواطِرِ دُونَ بَعْضٍ"(بن عاشور، صفحة 300 ج26).

وهو ما دلّ عليه تركيب هذه الكلمة التي تتكوّن من حرفين مكرّرين وهما الواو والسّين أمّا الواو فمخرجه من الشّفتين وهو ما يدلّ على عجلة النفس في الوسوسة وحبها لما تريد وأمّا حرف السّين الذي يتّصف بالهمس والاستفال وكذلك الوسوسة التي لا تكون إلّا في الخفاء فالله خلق الإنسان وهو أعلم بوسوسة النّفس منه إذ هو خالقها فهو العالم بصفاتها وأقرب إلينا منها بل أقرب إلينا من حبل الوريد

يقول الطّاهر بن عاشور: "ومِن لَطائِفِ هَذا التَّمْثِيلِ أنَّ حَبْلَ الوَرِيدِ مَعَ قُرْبِهِ لا يَشْعُرُ الإنْسانُ بِقُرْبِهِ لِخَفائِهِ، وكَذَلِكَ قُرْبُ اللَّهِ مِنَ الإنْسانِ بِعِلْمِهِ قُرْبٌ لا يَشْعُرُ بِهِ الإنْسانُ فَلِذَلِكَ اخْتِيرَ تَمْثِيلُ هَذا القُرْبِ بِقُرْبِ حَبْلِ الوَرِيدِ"(بن عاشور، صفحة 301 ج26).

أمّا عن تناسب الفعل المذكور مع ما جاء من المعاني البليغات فهو غاية الإعجاز لأنّ الوسوسة خفيّة غير ظاهرة وكذلك جميع الأفعال المذكورة في هذه الآية أولها الخلق فنحن لم نر الله ولا كيفية خلقه إيّانا وكذلك النّفس التي لا نراها وكذلك حبل الوريد.

فانظر إلى أثر المعاني على النّفوس وكيف جاءت الدّلالات متظافرة مصاحبة لغيرها من المعاني ملائمة منسجمة فيما بينها.

3.3 الدّلالة على المعنى من خلال أصوات الحروف الزائدة عن أصل الكلمة:

وقد تدلّ الأحرف الخارجة عن أصل الكلمة عن معان إضافيّة فالزّيادة في المباني تستلزم الزيادة في المعاني غالبا وذلك كإفادة معنى المبالغة والتأكيد والطلب والحسبان بإضافة حرف السّين والتاء للكلمة.

1.3.3معنى المبالغة:

❖ **النموذج الأول:** كلمة اسْتَكْبَرَ من قوله تعالى:﴿وإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ أبى واسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾(البقرة:34).

ذكر الإمام الطّاهر بن عاشور عدّة مواضع في القرآن الكريم تكون فيها السّين والتّاء لزيادة معنى المبالغة في الفعل ومن ذلك دلالة الحرفين السّين والتّاء في كلمة استكبر من قوله تعالى: "إلّا إبْلِيسَ أبى واسْتَكْبَرَ ".

يقول الطّاهر بن عاشور: "السِّينُ والتّاءُ لِلْمُبالَغَةِ مِثْلَ: اسْتَجابَ واسْتَقَرَّ فَمَعْنى اسْتَكْبَرَ اتَّصَفَ بِالكِبْرِ. والمَعْنى أنَّهُ اسْتَكْبَرَ عَلى اللَّهِ بِإنْكارِ أنْ يَكُونَ آدَمُ مُسْتَحِقًّا لِأنْ يَسْجُدَ هو لَهُ إنْكارًا عَنْ تَصْمِيمٍ لا عَنْ مُراجَعَةٍ أوِ اسْتِشارَةٍ كَما دَلَّتْ عَلَيْهِ آياتٌ أُخْرى مِثْلُ قَوْلِهِ ﴿قالَ أنا خَيْرٌ مِنهُ خَلَقْتَنِي مِن نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾"(بن عاشور، صفحة 424 ج1)

ومن المبالغة كذلك ماجاء في عفّة سيّدنا يوسف عليه السّلام وشدّة اعتصامه بالله عزّ وجلّ لمّا راودته امرأة العزيزه عن نفسه فبالغ في عصم نفسه من الوقوع في الخطيئة يقول الله تعالى:"وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ "(يوسف:32).

قال الألوسي: "أي والله لقد راودته حسبما قلتن وسمعتن فَاسْتَعْصَمَ، قال ابن عطية أي طلب العصمة وتمسّك بها وعصاني"(الألوسي، صفحة 234) فطلب العصمة والتمسك بها يدلّ على المبالغة فيها وهو ما ذكره الطاهر بن عاشور في قوله: "استعصم مبالغة في عصم نفسه،فالسّين والتّاء للمبالغة مثل: استمسك واستجمع الرّأي واستجاب. فالمعنى: أنّه امتنع امتناع معصوم، أي جاعلا المراودة خطيئة عصم نفسه منها".(بن عاشور، صفحة 264 ج12).

2.3.3 معنى التأكيد:

❖ **النموذج الأول:** كلمة أتَسْتَبْدِلُونَ من قوله تعالى:﴿ قالَ أتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هو أدْنى بِالَّذِي هو خَيْرٌ﴾.(البقرة:61).

من المعاني التي قد تفيدها أيضا هذه الحروف الزّائدة عن أصل الكمة معنى التأكيد، ولقد نبّه الإمام الطّاهر بن عاشور في عدّة مواضع عن هذا المعنى ومن أمثلة ذلك كلمة أتَسْتَبْدِلُونَ في الآية السابقة.

يقول الطّاهر بن عاشور: "وقَوْلُهُ أتَسْتَبْدِلُونَ السِّينُ والتّاءُ فِيهِ لِتَأْكِيدِ الحَدَثِ ولَيْسَ لِلطَّلَبِ فَهو كَقَوْلِهِ واسْتَغْنى اللَّهُ وقَوْلُهُمُ اسْتَجابَ بِمَعْنى أجابَ، واسْتَكْبَرَ بِمَعْنى تَكَبَّرَ، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى ﴿كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ في سُورَةِ الإنْسانِ"(بن عاشور، صفحة 523 ج1). فقد أنكر الله عزّ وجل هذا الاستبدال "والهمزة في أَتَسْتَبْدِلُونَ للإنكار".(أبو حيان، 1432ه -2010م، صفحة 377 ج1).

ومن ذلك كلمة استحبوا في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ**﴾ (التوبة:23).وهذا لمّا أمر الله عزّ وجلّ بعدم موالاة الكفّار وإن كان آباءهم أو أبناءهم وقد تمكّن الكفر من قلوبهم وأحبّوه حبّا شديدا، وقد استفاد هذا المعنى الإمام الطّاهر بن عاشور من صوتي السّين والتّاء، يقول الطّاهر بن عاشور: "ومعنى استحبّوا الكفر: أحبّوه حبّا متمكّنا، فالسّين والتّاء للتّأكيد"(بن عاشور، صفحة 151 ج10).

ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة استمسك في قوله تعالى "فقد استمسك بالعروة الوثقى"(البقرة:256).

يقول الطّاهر بن عاشور: "ومَعْنى (اسْتَمْسَكَ) تَمَسَّكَ، فالسِّينُ والتّاءُ لِلتَّأْكِيدِ كَقَوْلِهِ: ﴿فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إلَيْكَ﴾ وقَوْلِهِ ﴿فاسْتَجابَ لَهم رَبُّهُمْ﴾"(بن عاشور، صفحة 29 ج3).

3.3.3 معنى الطّلب

النموذج الأول: كلمة اسْتَعِذْ من قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف:200).

جاءت أصوات هذه الحروف للدّلالة على معنى الطّلب في عدّة مواضع في القرآن الكريم ومن ذلك كلمة استعذ في الآية السابقة أي: أطلب الاستعاذة والتحصّن من الله عزّوجلّ، والمقصود بنزغ الشيطان كما ذكر الزمخشري: "اعتراء الغضب"(الزمخشري، 1430ه -2009م، صفحة 401)

يقول الطّاهر بن عاشور: "الاستعاذة: مصدر طلب العوذ، فالسّين والتّاء فيها للطّلب والعوذ الالتجاء إلى شيء يدفع مكروها عن الملتجئ، يقال: عاذ بفلان، وعاذ بالحزم، أعاذه إذا منعه من الضرّ الذي عاذ من أجله.

فأمر الله بدفع وسوسة الشّيطان بالعوذ بالله، والعوذ بالله هو الالتجاء إليه بالدّعاء والعصمة"(بن عاشور، صفحة 230 ج9).

ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة تستغيثون التي دلّت على طلب الإغاثة من الله عزّ وجلّ من قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ (الأنفال:09). أي أنّ الله عزّ وجلّ استجاب لكم لمّا طلبتم منه الإغاثة، يقول الطّاهر بن عاشور:" الاستغاثة طلب الغوث، وهو الإغاثة على رفع الشدّة والمشقّة ولمّا كانوا يومئذ في شدّة ودعوا بطلب النّصر على العدوّ والقويّ كان دعاؤهم استغاثة.(بن عاشور، صفحة 274 ج9)

4.3.3 معنى الحسبان:

النموذج الأول: كلمة ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ من قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَفِيسَبِيلِٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِوَٱلنِّسَآءِوَٱلۡوِلۡدَانِٱلَّذِينَيَقُولُونَرَبَّنَآأَخۡرِجۡنَامِنۡهَٰذِهِٱلۡقَرۡيَةِٱلظَّالِمِأَهۡلُهَا﴾. (النساء:75).

جاءت أصوات هذه الحروف للدّلالة على معنى الحسبان في عدّة مواضع في القرآن الكريم ومن ذلك كلمة المستضعفون في الآية السابقة أي الذي يحسبهم الناس ضعفاء وفي هذا يقول الطّاهر بن عاشور: "والمُسْتَضْعَفُونَ الَّذِينَ يَعُدُّهُمُ النّاسُ ضُعَفاءَ، فالسِّينُ والتّاءُ لِلْحُسْبانِ(بن عاشور، صفحة 122 ج5)

4. خاتمة:

أنزل الله القرآن الكريم وأودع فيه أسرار حكمته وجعله معجزته الخالدة ودليلا على صدق رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فكان معجزا في آياته وجمله وكلماته وحروفه وكانت أصواته كأنها أفعالتراها، وفي الختام أقول أنّ علم الاعجاز علم عجيب لا تكتشف منه سرّا إلاّ ظهر لك سرّ غيره فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه وقد توصّلنا من خلال دراستنا إلى النتائج التالية:

- الصوت البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب.
- القرآن الكريم يختار أحسن الأصوات التي تجسد المعاني.
- العدول الصوتي من أجمل الأساليب الصوتية التي يستعملها القرآن الكريم لجذب المتلقي.
- معرفة المعنى العامّ للآية ومعرفة سياقها يساعد على استخراج نكت من الإعجاز الصّوتي التي تكون مكنونة في صوت الكلمة حال انفرادها.

- تكرار المقطع الصّوتي للكلمة يقودنا في الغالب إلى تكرار حدث ما لغرض إعجازيّ في نفس الحدث وما يلائمه من الاستمرار.
- القران يختار الأصوات بحسب الدلالة قصد إخراج المعاني في أحسن صورة.
- تتغير دلالة الحرف بتغير السياق.

5. قائمة المصادر والمراجع:

أ.المصادر:

القرآن الكريم.
أبو حيان محمد بن يوسف. (1432ه-2010م).البحر المحيط.بيروت:دار الفكر.
أحمد بن أبي بكر القرطبي. (1433ه-2012م). *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت-لبنان: الرسالة العالمية.
أحمد بن فارس. (1429ه-2008م). *مقاييس اللغة*. القاهرة: دار الحديث.
الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهر. (1425ه-2004م). *تهذيب اللغة*. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
جار الله الزمخشري. (1430ه -2009م). *الكشاف*. بيروت-لبنان: دار المعرفة.
جلال الدين السيوطي. (1434ه-2013م). *الإتقان في علوم القرآن*. بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون.
جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور. (1430ه-2009م). *لسان العرب*. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
شهاب الدين محمود الألوسي. (بلا تاريخ). *روح المعاني*. بيروت-لبنان: إحياء التراث العربي.
عثمان ابن جني. (1428ه-2007م). *سرّ صناعة الإعراب*. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
محمد الطاهر بن بن عاشور. (بلا تاريخ). *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: دار سحنون.
محمد بن يوسف أبو حيان. (1432ه -2010م). *البحر المحيط*. بيروت-لبنان: دار الفكر.
محمد عبد العظيم الزرقاني. (1415ه-1995م). *مناهل العرفان في علوم القران*. بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.

ب. المراجع:

إبراهيم أنيس. (2010). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة النهضة.
أحمد حسين الزيّات. (2008). تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا. الفجالة-القاهرة: دار النهضة مصر للطباعة والنشر.
عبد الحميد هنداوي. (1434ه-2013م). الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم. القاهرة-مصر: عباد الرحمان.
كمال بشر. (2000). علم الأصوات. القاهرة: دار غريب.
مسلم مصطفى. (1416ه-1996م). مباحث في إعجاز القرآن. الرياض-السعودية: دار المسلم للنشر والتوزيع.

مصطفى صادق الرافعي. (1424ه-2003م). *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.